

# الْقَصَصُ

صور من هومروس

## ١١ - حروب طروادة

أندروماك

للأستاذ دريني خشبة

استطاع نبتيون أن يزلزل قلوب الطرواديين .

وحسبه أن يفر من ميدانهم مارس الجبار ، وأن يفر في  
لأره أتباعه آلهة الرُّوع ، وثينوس ، أصل البلية التي حاقت  
بأليوم ، لينتقل النصر طفرة من جانبهم إلى جانب الهيلانيين  
وبرزت شمس اليوم التالي على الساحة الملطخة بآثام الانسانية ،  
المُضْرَجَة بأوزار الآلهة ، المصطخبة بأين الموتي ... لتشهد من  
جديد صراع الضمائر وتداول الأحقاد ، وأخذت السخائم بعضها  
برقاب بعض ، وهذه الكتل البشرية يفنى بعضها بعضاً  
واشتد الهيلانيون في طلب الطرواديين ، واستبسل هؤلاء ،  
فكانت أمواج الغزاة تتكسر على صخور شجاعتهم .....  
ولكنها لا تلتامى

وعظم الخطب ، ومارت الأرض ، وانمقد رَهَجُ الحرب  
مما تثير الخليل من هبّوات ، واشتجرت الهيجاء ، حتى لكأنها  
قطع من الليل ، وصلصت الدروع حتى لكأنها عواء ذئاب  
الجن ، واستشرى الشر حتى لا ترى إلا إلى منايا وآجال ، في  
قتال ونزال . وأحس جنود طروادة بلُغُوب الوغى ، وشمروا  
بالرجفة تأخذهم من كل جانب ، وكان هكتور العظيم يحفظ  
كالبرق بين صفوفهم يحضهم ويحرضهم ؛ بيد أن الشجاعة لا تقنى  
في موقف الموت شيئاً ، فقد شرعت . فيالقوم تنقهقر يسطع نحو  
الأسوار ، حتى إذا بلغوها لبثوا نمة يُصلون أعداءهم واهلاً من  
السهام ، تساعدهم الرماة من فوق الأبراج . . .

لكن الهيلانيين ما فتت لهم همة ، ولا يصل إلى حماسهم  
كلال ؛ فقد سمّدوا في مواقفهم ، وثبتوا وصابروا ، وأبدوا من  
ضروب البسالة واليأس ما حير ألباب أعدائهم ، وجملهم البيا  
عليهم واحداً !

وفي عنقوان المعركة لقي هيلانوس بن بريام الملك ، أخاه  
المغوار هكتور يقصف بين الصفوف ويرعد ، ويرغى بين المحاربين  
الصناديد ويُرَبِّد ؛ وكان هيلانوس خير كاشف الغيب ، وعراقي  
الطرواديين ؛ وكان حبيباً إلى الآلهة ، جميل الطلعة ، بسام الثغر ،  
حتى في الحرب ؛ وكان إلى ذلك حازماً موفوراً الحزم ، صارماً  
شديد البأس ، يقهر الغير على احترامه ولو كانوا يكبرونه سنّاً ؛  
فلما رأى هكتور يبيس تلك العبوسة القمطرير لما يحيق بجنوده  
من أذى ، ذهب إليه قُدماً وقال :

« أي أخي ! أي هكتور العظيم ! »

وما كاد هكتور يسمع النداء الحبيب حتى هرع إلى أخيه  
يلتمس في صدره الحنون برداً لحر تلك الجحيم التي لفتحت  
شجمان طروادة بزفيرها ، وصاح به :

« هيلانوس ! أنت هنا ؟ ادع لنا آلهتك بأبها العززا !  
لقد كؤد النصر بمد إذ حسبناه في أيدينا أمس . . . . ادع لنا  
آلهتك فقد عيننا بهؤلاء الهيلانيين الأبالسة . . . »

« هكتور ! إسغ إلى ! لن تظفروا بهؤلاء مادامت ميرفا  
مهم تؤيدهم ، وتشد أزرهم ، وترد عنهم سهامكم ، فتجعلها  
في محوركم ! ! »

« هكتور ! هلم إلى القصر يا أخي ، فائق والدتك المرزاة  
ثمة ، فتوصل إليها أن تذهب من فورها ، مرتدية أبهى ملابسها  
إلى هيكل ميرفا ، فلتبك عند قدمي تنالها ، ولتقدم الضحايا ،  
ولتقرب القرابين ، ولتجرق البخور القدس ، المزوج بالأقارب  
والصندل وطيوب الهند ؛ ولتنذر أن تذبح اثنتي عشرة بقرة من  
خير أبقار اليوم ، فتصدق بلحوسها ، وتهب البكينة شعوبها ،

ولتلك مملكتك أزواج القادة والمحاربين جميعاً ، قابضين أبهى ثيابكن  
الحربية المنقشة ، وجبركن المنقوشة ، وانطلقن إلى هيكل ميترقا ،  
فصلين لها ، واحرقن البخور التالي من الأقاوية والصندل أنغر  
طيوب الهند ، ثم اركمن عند قدمي تماثيلها المبود ، وابكين بكاء  
طويلاً ، وسبحن باسم آلهة الحكمة ، واغسلن الأرض عندها  
بدموعكن ، ثم توسلن إليها أن ترفع عن الطرواديين مقبها وغضبها  
وانذرن أن تقرين ، لو قمت ، انتى عشرة بقرة من خير أبقار  
اليوم ، يتصدق على الفقراء وأبناء السبيل والمشرّين بلحومهن ،  
وعلى كهنة الهيكل بشحومهن . . .

« أماء ! إن لم تفعلن كما أخبرتك فلا نصر لنا . . بل لنا الهوان  
والهزيمة المؤكدة .. عليك وعلى نساء طروادة السلام من أربابها  
الكرماء . . . »

وسمت هكتوراً واربد وجه هكيويا !

وانطلق البطل إلى قصر أخيه . . إلى قصر باريس  
فوجده يلهو ويلعب ، ولا يأبه بهذه الأرواح الغالية التي  
تصطرح في الميدان ، فأخذته الحنقة ، وسب عليه شواظ  
غضبه .. « أنت ! أنت باريس بن بريم ! صبياً وزيوس الأكرام  
أنت هنا تلهو وتلعب ، وتدع ضحاياك تنافع عن آفامك تحت  
أسوار ليوم ، وتدوق الردى بجمرتك ! . . . »  
وأطلق العنان للخيال ، فذهبت عمرته الحربية المطهمة تطوى  
الطريق إلى الميدان . .

أما أمه فقد جمعت نساء طروادة وجماعة المتوسلات (١) ،  
ودهبن جميعاً إلى هيكل ميترقا . . . وسألن وبكين ، وغسلن  
بدموعهن قدمي التمثال المبود ، ونذرن لآلهة الحكمة ما أمر به  
هكتور أن يُشفر . . .  
ولكن !

لقد أصمت ميترقا أذنيها ! ولم تُصغ لهذه التوسلات  
المكرومة ، ولم ترق لتلك السيارات المسفوحة ، ولم تطمع أبداً في  
ضحايا وقرابين تكفر عن خطيئتك باريس ؛ ذلك الراعى للفتون  
التي آثر الجلال الغاني على الحكمة الخالدة ، فقضى في التفاحة  
لقينوس ، ربة الحسن والحب ، تلك الحية الرقطاء التي لبدت

(١) Suppliants وقد نظم فيمن كل من اسخيلوس ووريديز لحدي  
دراماتها الخالدة

إذا وعدت ربة الحكمة أن ترفع مقبها وغضبها عن طروادة !  
وألحف هيلانوس على هكتور ، فألقى نظرة على المركة ، وكاد  
قلبه يتفطر على هذه الأشبال التي تسقط هنا وهناك ، وفي كل  
صوب وحذب ، لاقيةً حتوفها في سبيل اليوم ، وذرف عبرات  
تذوب حناناً ورحمة ، ثم لوى عنان حصانه إلى البوابة الكبرى ،  
فدخلها وقلبه يتصدع من ألم ، ووقف مرة أخرى يلقي على  
الساحة المضطربة نظرة قائد مجنوده جد رحيم . . . . .  
وانطلق إلى القصر الملكي المنيف ذى الشرفات والآكام . .  
وهناك . . . عند بوابة القصر ، ونحت البلوطة الكبرى  
الوارفة ، اجتمع حول هكتور نموة كثيرات ، هن أزواج  
المحاربين البواسل وأخواتهم وبناتهم ، وأسماهم كذلك ، ازدحمن  
حواله يسألن عن رجالهن ، هل أرى بهم حتف القضاء ؛  
وأسقوا نرى الوطن العزيز من دماهم ، أم ما يزالون يناضلون  
الأعداء ، ويردون عن طروادة سمي البلاء ؟ . . . . .

ولكن هكتور يوشك ألا يسمع لمن ، لأنه ينطلق من قوره  
إلى داخل القصر ، . . . وها هو ذاهب في أسبائه العظيمة ، ماراً  
بتلك الترف الحسنيين التي تضم أزواج أيه وأطفالهن ، ثم بالبو  
الأكبر ذى العباد الشاخنة ، ثم بالجواسق المذهبة ذات الذهبى  
والتماثيل ، حتى يكون عند ردهة الملكة ، فتلمحه أخته الجميلة  
ذات اللتان لاؤوديس فتجرى إليه ، وتلف ذراعها حول ساقيه ،  
فيتخلص منها برفق . . . وتكون والدته قد أحست وجوده  
فهرج إليه ، وتهتف به :

« هكتور ! بُني ! ما ذا جاء بك هنا ؟ لمن تركت الساحة  
يا ولدى ! أهبكذا تدع أبناء طروادة للموت الأحمر وتجيء إلى  
الحرم تنشد الراحة يا هكتور ؟ لا . لا . لا . لا أحملك تتخلى عن  
جنودك لحظة . ولكن هلم لي ! إليك هذه الكأس من  
أشهى ما عصر ياخوس ! رو ظناً منك منها وعد لي الميدان . . . »  
بيد أن هكتور يتجهم بجممة مُفغصة ، ويهتف بها :

« أماء ! حشاي يا أماء ! حشاي يا أعز الأمهات ! لن تهرق  
الخر بسمي ، وتلك دماء إخواني تهرق باسم الوطن وراق !  
حشاي يا أماء أن أندوق قطرة واحدة من تلك الكأس ،  
وهناك . . . في ضمير للممة ، يجرع أبناء طروادة الأعداء  
كؤوس التناوب وذوب الحمام ! أريقها على مذبح ميترقا إذن ! هلى

طروادة بأسرها ، فهي إلى اليوم تصرخ من صمها الزعاف يسرى  
في أرواح أبنائها ، فيشكل بهم ، ويكاد يقضى عليهم . . . ولا  
ذنب لهم ولا جريرة ، إلا لبانات الهوى الآثم ، والنرام الشائن ،  
والحب المجرم المهين !!

\*\*\*

وأحس هكتور وهو منطلق إلى الميدان كأن منيته تنوشه من  
مكان بعيد ، وأحس في صميمه بشوق حار إلى لقاء أندروماك ،  
زوجته العزيزة عليه ، الأثيرة إلى قلبه ، شوقاً يشبه وداع الحياة في  
حرارته وأسرته ، وشوقاً يشبه الاستمتاع الأخيرة من مباحج هذه  
الدنيا . . . في حزنه الصامت ، وممناه العميق !

وأحس كذلك بلوعة إلى التزود بنظرات من سكندريوس  
طفله الحبيب ؛ هذه الهبة السماوية التي توشك أن تصبح تقمة  
من نقات اليتيم ، إذا كان صحيحاً هذا الهاجس الذي وقر في  
قلب هكتور ، والذي صور له أنه مقتول اليوم لا محالة . . .

وأح الشوق على قلب البطل ، فتني عنان الخليل إلى الطريق  
الوئدية إلى قصره المرمد ، ليشتي حاجات الفؤاد المذب

وذهب من توه إلى مخدع أندروماك ؛ ولكنه لم يجدها  
هنالك ، فبحث عنها في الغرف والزدهات والأهباء ، ولكنه عبثاً  
حاول الوقوف لها على أثر !

وسأل عنها حشم القصر ، وكان صدره يملر ويهبط حين كن  
يتحدثن إليه عن أندروماك العزيزة وما تلقاه دائماً من القاق ، وما  
تنفزع به روحها من الهواجس مادام زوجها يخوض خبار هذه  
الحرب !

فهل هي من الأرض الثقيلة المخضبة بالدماء هذه المواطن  
المشتركة ، أم هي من السماء الصافية التي لا يرتفع إليها نَسَل ،  
ولا يورى فيها زئد عداء ، ولا تشب فيها سخيمة ؟ !

وأخبرته أنها يمت شطر برج طروادة الرفيع ، تشهد منه  
ما يحدث في المعركة من أهوال ، وذلك عند ما ترامت الأخبار  
أن الأغرريق قد ضيقوا الحصار على جنود طروادة ، وأنهم خضدوا  
شوكتهم ، وفلجوا عليهم ، ونجبوا قلوبهم ، وضعضوا أركانهم . . .  
فريمت أندروماك ، وذهبت من فورها إلى البرج لتطمئن على  
رجلها وذخر حياتها ، وسندها في هذه الحياة السوداء  
ونهد هكتور إلى البرج ، فلقيته أندروماك بينين مفروقتين

ووجه شاحب وجبين مغضن ، وسدر ينوء بما فوقه من المعلوم  
كانت تقف ابنة إيتيون ، الجميلة البارعة ، وعلى ذراعيها  
المرصى الغان طفلها الرضيع الشاحب ، الذي حل بهذه الدنيا  
الهائلة ليكون عبء سخينة من عبرات الحزن القاهر ، ثم ليكون  
مأساة وحده حين تضع هذه الحرب الضروس أوزارها ، وحين  
يشب فلا يرى حوله إلا الباكين والمزومين ، وإلا هذه المدينة  
الكاسفة التي تمصف بها آلهة الحرب ، من غير ماشقة ولا  
مرحمة !

وتملت أندروماك بذراعي زوجها ، وشرعت تنظر في عينيهِ  
المبلماتين ، وتقول له :

« هكتور ! رَجُلِي وذخري من هذه الحياة ! إلى أين أيها  
الحبيب ؟ أما لهذه الحرب الطاحنة من نهاية ؟ أم كذا قضت الآلهة  
على طروادة الخالدة بالحزن الأبدى والأبى المقيم ؟ هكتور ألا  
تفكر في سلم يرفرف على ربوع الوطن ، ويبقى على هذا الشباب  
الذي تمصف به ربح الحرب ؟

رَجُلِي !

إن آلاماً من الهواجس السوداء تضغط على قلبي تحده  
بالعُقبي الوخيمة ، والأيام الباكية القريبة !  
هكتور ؟

هذه أشباح القتل الأعزاء من بني وطني تحدفني عن مأساة  
أبي ، واخوتي السبعة ، والمئين من أهلي ، قتلهم أخيل الجبار بيده  
السفاحة وجمل من جشهم كومة عالية تقص على القرون تاريخنا  
الحزين !

لقد هرعوا جميعاً إلى هذه الساحة من سيليسيا ، ملين نداء  
الملك ، الملك الناعس ، أبي ، الذي سمى إلى طروادة لينام أبد  
الدهر في ظل أسوارها نومة غير قريرة ولا هانئة . . .

هكتور !

لقد نام أعز الآباء في تراب ساحتكم دفاعاً عن مدينتكم ،  
ولكن المأساة لم تتم بقتله وقتل أبنائه والمئين الأعزاء من بني  
جلدته ، ولكن المأساة أبت إلا تكون أوى . . . أم يا أباي  
العزيزة ! أن تكون هذه الأم صفحة محلوكة من صفحاتها التي  
تفجر الدم في القلب ، وتضرم النار في الحشا !

لقد ساقها أخيل يا هكتور في جملة السبي ، ولولا القسود

بل هو قد ذكرك ، وقد تصور أن هكتور مقتول ، وكأنك كما ذكرت عن أمك في جملة السبي ، وأنتك تؤويين مع أحد القادة الهيلانيين إلى هيلاس ! وأن القائد الفليظ قد ضحك إلى حرقه ، أو بالغ في الأذى فحطك إحدى سراريه أو خدمه ، كلما صر بك أحد أشار اليك بالبنان : « مسكينة ! هذه زوجة هكتور فتى طروادة ، وابن ملكها المقدم ، البطل الذي سفك الدماء وسمر الهيجاء ، تعمل هنا اليوم خادمة ذليلة ، كبدرة القاب ، مهيضة الجناح ، تأتمر بأمر السفلة والأخساء !

لا يا أندروماك ! لقد ذكرت ذلك جميعاً ، ومن أجل هذا فأنا لهذه الحرب ، وأنا لهؤلاء الأعداء ! سأحطمهم ! سأدك الأرض من تحتهم ! سأسقط السماء عليهم كسفاً . . . من أجلك ! من أجلك يا أندروماك ! لا .. لا .. بل من أجلك يا طروادة . . . يا وطني ! يا بلادى ! . . . »

وسكت فتى طروادة قليلاً ، ثم ذكر المعركة وما يدور فيها ، فتقدم إلى زوجته فطبع على جبينها قبلة كلها هموم : ومديده يريد أن يأخذ سكندريوس فيداعبه أو يودعه ؛ ولكن الطفل صرخ صريراً من هذه القبعة النحاسية المذهبة التي تحمى مفرق أبيه ! وابتسم والداه ، برغم حزنهما ، ورفع هكتور القبعة وألقاها على الأرض المشوشة ، وتناول الطفل فأرقعه قليلاً حتى انفرجت شفاه عن ضحكة عالية ، ولثمه كما تلم العاصفة فتناً وارفناً فتلفهجه ، ودفن به إلى حضن أمه

وانطلق بطوى الطريق إلى المممة . . .

( لها بقية )  
درسي مشبهة

### الطالع العام

كتاب المرشد الطريف في طالع الجنس اللطيف يتضمن ٣٥٢٠ جواباً على ٢٢٠ سؤالاً عن الماضي والحاضر والمستقبل لجميع الناس مهما كانت أعمارهم ومراكمهم فالى العذارى الثابتات والزوجات الطاهرات والوالدات الحنونات وريات البيوت اللدبرات ، والنساء الفواويات والشبان والرجال تقدم هذا الكتاب من قلم الأستاذ حنا أسعد فهمى المحامى من باريس وتمنه ١٢ قرشاً صاناً والبريد قرشان ويطلب من مكتبة العرب الشهيرة بشارع الفجالة رقم ٤٧ بمصر تليفون ٥٦٠٢٥

الكبير ، والفدية الثالية التي بذلناها من أجلها ، لكانت إلى اليوم ، لومد في أجلها ، إحدى خدمات الأعداء الدليلات ، اللواتي لا يملك لمن في هذا الأسار عزة ، ولا يقدر لها أحد شأناً ! لكنها سقطت هناك ، في هامش هذه الساحة الظلمة ، ضحية سهم مهاش من قوس الالهة ديان ، فكأنما رفضت أن ترفع كأس هذه الحياة إلى قها التي الطاهر . بعد إذ لوتته أجدات الدهر بذل الأسار !

هكتور !

كل هذه النوازل هدت نفسى ، وحطمت قلبى ، وأماجت مشاعرى ، وجعلتنى بائسة ناعسة موهونة لا حول لى . . . لولا أنك إلى جانبي تأسو جراحى وتؤنس وحشتى ، وتشيع نوراً متلاًتاً في ظلمات حياتى . . . فأنت لى اليوم أب نعم الأب ، وأنت لى فى وحدتى بقلبك الحنون أم نعم الأم ، وأنت لى أخ ، بل أنت لى كل شىء فى هذه الدنيا !

هكتور !

إبق إلى جانبي فأنا لا أستغنى عنك بأب أو أم أو أخ ، أو بمملكة زين مفرق تاجها المشرق ، ولا يشد يمينى سولجانها الرنان ! إبق إلى جانبي يا هكتور !

إبق إلى جانبي وارح هذا الطفل ، ولا تسله وتسلى لليتم والشقاء

هكتور !

إن المستقبل يبس من اليوم لولئك سكندريوس ؛ فرده عنه ، وادفع عاويات الزمان من الآن عن فلاة كبدك ، وحبية قلبك ، واستشعر نحوه حنان الأب الرحيم ، ولوعة الأم المنفودة !

.....

وخنقتها عبرة حجبت عن ناظرها نور الحياة ، وحبس منطقها كدممض ، وحزن أليم ؛ ووقف هكتور مبهوتاً لا يجرى ، ينظر إليها مرة ، وإلى ولده أخرى ، ثم يلقى على طروادة نظرات . . . واستيقظ بطل اليوم من غفوة الصاخية ، وانطلق لسانه من عقاله يقول :

« أندروماك ! أيتها الحبيبة ! إسمى إلى ! »

لا تخالى يا أعز الناس إلى أن قلبى قد تحجر فلم يخفق لسلك ما ذكرته من قبل ! لا لقد خفق كثيراً بمثل هذه المواجس !

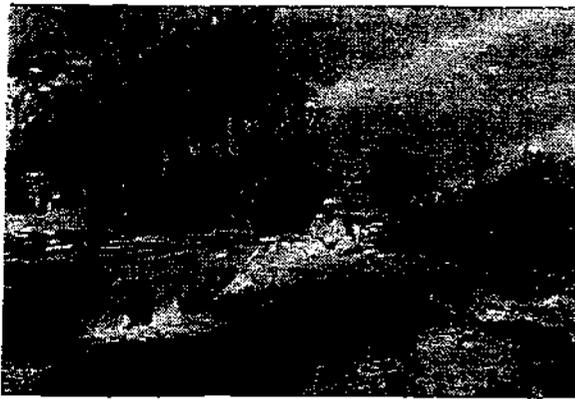
## ٢- رحلة الى حدود مصر الغربية

مرسى مطروح ، سيوه ، السلوم

للأستاذ الرحالة محمد ثابت

أقلتني سيارة برفقة الأخ النبيل الكريم حسن حشمت ، من خيرة الشبان وأكفأ ضباط الحدود ، وطقنا بكثير من البساتين والبنابيع ، وهي عماد موارد الواحة وخير ما يميزها ، تنتثر في أطرافها في عدد لا حصر له ، وحوها تقوم غابات النخيل تتخللها أشجار الفاكهة ، أخص بالذكر منها الكروم والزيتون ، ثم الزمان والتفاح والبرقوق والمولخ ، على أن البساتين تفتقر إلى عناية كبيرة من أهلها ، فهي مهملة إلى حد كبير ، إذ تقص أرضها بالطفيليات ، وتزدحم بالأشجار المتجاورة ، مما يؤثر ولاشك في مقدار إنتاجها طاماً بمد طام . ويخيل إلى أن الناس هناك أميل إلى الكسل ، إذ كنا نرى ماء البنابيع المتفجرة يجري على غير هدى ، ويؤدي بعضه إلى مستنقعات فسيحة هائلة بعضها يبدو كاللحاحات المديدة . نرى كتل الملح الأبيض الرضاء تكسو جوانبه إلى مد البصر ، ولقد حاولت وزارة الزراعة إسلاح تلك الأراضي وحث الناس على استغلالها بطريقة أنجح من طريقهم الحالية في الحرث وتمهيد الأرض ، وكذلك في الاستفادة بذلك الماء الوفير الذي يضيع سدى ، ولقد قامت وزارة الزراعة هناك بمجهود يشكر في توزيع أشجار الزيتون والخروب على الناس مجاناً ، وفي الاحتفاظ بمياه البنابيع فأقامت حول كل عين أحواضاً كبيرة من البناء تؤدي منها المجارى الصغيرة إلى مختلف النواحي ، بحيث تشرم وأنت تجوب أطراف الواحة من كثرة القنوات وتقاطمها وتشمعها أنك وسط قطر زراعي ممتاز ، لكن رغم ذلك يضيع جانب كبير من ذلك الماء سدى ، ولقد ساعدت تلك القنوات على تجفيف كثير من المستنقعات التي كانت مربي خصيباً لبعوض الملاريا الذي كان يقتك بالناس فتكا ذريماً ، وهي تبتث في تلك المياه نوعاً من السمك الصغير الذي يعيش على بويضات ذلك البعوض استئصالاً

له . ولقد زرنا مصنع وزارة الزراعة الذي أقامته لاستغلال أكبر موردين للناس هناك : البلح والزيتون ؛ وهي تبتاع من الأهلين جانباً كبيراً من أجود أنواع البلح ، وتخضعه لعملية التسييل والتطهير والتبخير ، ثم الكبس في صناديق من خشب تبطن بالورق الثقيل ، وتصدر منه بين ٢٠٠٠ و ٤٠٠٠ طن في العام ؛ وفي جانب من المصنع معصرة آلية لزيتون بكامل معداتها ، يصصر فيها الزيتون وينقى الزيت بعدة عمليات ، ثم يوضع في صفايح ويصدر ؛ وإنتاج المصنع آخذ في الزيادة ، ولذلك تفكر الوزارة في توسيعه بإطراد . وللأهلين كثير من الماصر الخاصة للزيت ومساطح البلح الذي يمدون منه ( العجوة ) السيوى الشهيرة ؛ أما باقي أنواع الفاكهة فلا يكادون يستفيدون منها تجارياً ، حتى البيع لأهل الواحة نفسها غير مباح ، ذلك لأن المالك يمد بيع الثمار للناس مرة لالتيق بكرامته ، ولكل إنسان أن يدخل البساتين وبأكل منها ما يشاء بدون مقابل ، ولكن ليس له أن يحمل إلى الخارج شيئاً منها إلا في حالات خاصة ، عند ما يريد المالك تقديم الهدايا من ثمار حديقته لبعض ذوى المكانة والجاه من الزبلاء أو الأهلين . ولم أدرك من صنوف الثمار شيئاً ، اللهم إلا أردأ أنواع البلح هناك ويسمونه البلح الفراوى ، أما البلح الممتاز السمي الصعيدي ، والذي يليه جودة القرينى فلا يزال نجماً غير ناضج



عين نابرجزت من أكبر بنابيع سيوه

أذكر أننا دخلنا بستاناً وتقياناً بشجرة ، وكانت الأرض تحت النخيل يكاد يفرشها ذلك البلح الردي ( الفراوى ) فطلب الأخ حشمت إلى الرجل أن يذيقنا أطيب ذاك البلح ، فاعتلى

ازينت بجلبابها الأحمر ، وأحاطت خصرها بحزام معوج من  
الأمام ، وكانت تهولني أكامها الكبيرة ، ولقد خبرني  
الطبيب بأنه عند الكشف على إحداهن لا تضطر السيدة أن  
تخلع ثوبها ويكفي أن ترفع ذراعها فيظهر كل جسدها من كفا



سيوية ترد ماء نبع في سيوه ويشاهد في وجهها الجبال الغربي  
وللقوم لقبهم السيوية الخاصة ، كنت أستمع إليها في رطانة  
هي أبعد من الفجوات الأوربية عنا ، وقد حاولت أن أتعبق في  
كلماتها شيئاً يمت إلى العربية أو اللاتينية بصلة فلم أهدت إلى  
كلمة واحدة ؛ وهم يتخاطبون بها دائماً ، لكنهم إذا تمدنوا  
إلى الغرب تكلموا بالعربية ، وأطفالهم لا يعرفون إلا  
اللغة السيوية . واليك أمثلة من تلك اللغة : تلحاك أنك  
( كيف حالك ؟ ) ، أمقحاط : ( أين تذهب ؟ ) ، سقم أما  
سيط : ( من أين تجيء ؟ ) ، أفنك اللون : ( افتح الشباك )  
أفن شاشنك أخفنيك ( ألبس الطاقية على رأسك ) أفن  
شخشيرك في أشكنك ( ألبس الجوارب في رجلك ) أشو ( الطعام )  
الخ . وما إلى تلك الألفاظ التي تعمن في القرابة بالنسبة للتنا ، وحتى  
أساؤهم نجد من بينها مجيماً مثل : تلشلت ، زوباي ، يسخ .  
ولهم تدليل خاص لبعض أسمائنا فتلايتادون : أبا بكر باسم كالك ،  
ابراهيم باسم بابي ، أحمد باسم حيدة ؛ ويقال إن أصل تلك اللغة  
بربري ما زجتها العربية ثم الرومانية . ولا تزال للرومان هناك  
بعض الآثار ، أشهرها معبد المشتري ( جوبتر أمون ) ، وكان مقر  
الكهنة ذرعه ٣٦٠ × ٣٠٠ قدم ، ومن أحجاره ما يبلغ ٣٣ × ٢٦  
قدماً ، وقد زاره الاسكندر بعد أن قامى المتاعب الممضنة وبعد أن  
نضب ماؤه وأشرف على الهلاك لولا أن سقط المطر فأنجاه هو

الرجل النحلة وهن عرجونها ، فأمرتنا وابلآ من رطب أصفر  
كبير ، فأقبلنا نتقي منه أطيبه ونفله في ماء النبع حولنا  
وتأكله ، فكان لذيذاً شهياً ، وما كنت أمتدحه حتى سارع  
الرجل بالاعتذار بأن الأنواع الجيدة لما تنضج بعد ، وأن هذا  
النوع القبي تأكله غير جدير بنا ، لأنه عندم طعام الخمر ؛ وقد  
علمت أنهم حقاً يقدمونه علفاً للحمير ، والنوى تأكله المعزى

وأكبر عيون الواحة عين قريشت التي تبعد عنها بنحو  
عشرين ل . م . ، ثم عين فاخررت التي تنفجر بقوة هائلة ويتدفق  
منها ٤٠٠٠ طن يومياً يضيع جله في متحات الملاحه بالبحر ؛  
ثم عين الشفا ، وتقول خرافة قديمة إنها كانت متصلة بالجن ،  
خاضعة لبيهم ، ثم اكتسبت هبة سحرية هي شفاء الأمراض  
كافة ، لذلك يكاد يقتل فيها الناس جميعاً كل يوم ، فالنساء  
يقمن مبكرات ويفلن أجسادهن دون رءوسهن احتفاظاً بجبال  
الشعر أغر آيات تجملهن ، ثم يقمن في ساعة متأخرة الرجال ؛  
والعين التي يستقي منها الناس جميعاً عين تابه أمام مركز البوليس ؛  
وكم كان يروقني منظر الناس وبخاصة النساء وهن يردن تلك  
العين في بكرة الصباح وعند الأصيل إعلان جرارهن ؛ هذه  
سيوية في نصف سفور ، وقد ارتدت جلباباً فضفاضاً من قماش  
يطلب على نقوشه التخطيط الأزرق ، وقد صغرت شعرها في  
جدائل متعددة ، بعضها يتدل إلى جانبي الرأس والبعض أمامها ؛  
وتنتهي الجدائل الخلفية بقطع من جلد خشن كان سيباً في أسن  
لا يستعمل النوم على ظهورهن أبداً ، وترين أذنيها أقرط ثلاثة ،  
في أسفل الأذن في طوق كبير يملوه في وسط الأذن واحد أصفر  
منه ، ثم يملو هذا ثالث هو دونه حجبا ، وتكاد تكسو رقبها  
أطواق من الفضة بعضها خارج بعض ، وهؤلاء لا يفلن  
رءوسهن إلا في قترات بعيدة تمد بالأعوام ، وبعضهن لم يفلنها  
منذ نشأن ، وذلك خشية أفساد زينة الرأس ، وهن كل أسبوع  
يتعمدن الشعر ببعض الزيوت والأعطار ، ويخيل لي أن سبب  
تلك المادة سقوط الشعر من أثر أملاح مياه الينابيع مما نفرهن  
من غسله فأصحت عادة فيهن

والسيويات جميلات الوجوه بالوانهن الحمرية وتقاطيعهن  
الدقيقة النحيلة . وإلى جانب السيوية كنت أرى عربية

ورجاله . وكان يقوم في هذا المبد صنم اسمه سيوح هو الذي أكسب الواحة اسمها ؛ وقد زرت هذا المبد وأعنيته في حال يرثى لها ، فأنت لا تكاد تجد به حجراً قائماً على أصله وذلك من أثر أحد المأمورين الذين رأوا في أحجاره مادة صالحة لأقامة مركز البوليس ، فقام يهدم المبد ويستخدم أحجاره فيما أراد ، والفروض أنه من متفق القوم ومن الذين يعرفون قيمة الاحتفاظ بمثل تلك الآثار الجليلة ، وهو لا يزال مأموراً إلى اليوم في ناحية أخرى من مراكز الحدود ؛ عفا الله عنه وكفر له عن سيئته .

ويقال إن تلك الواحة كانت تسمى عند العرب (سنترية) ، بناها صانفوس مؤسس بلدة أخميم ، أقامها من حجر أبيض وشيد وسطها ثلثاً من سبع طبقات وعليه قبة من خشب على عمد من رخام ، وكانت كل طبقة لطائفة من الناس على حسب مكانتهم ؛ على أني لم أجد لكل هذا أية بقية أو أثر . وقد حاول قبيل تدمرها وهدم مبد أمون الذي بها فهلك جيشه العظيم في طريقه إليها . ولقد زاد ذلك في قدسيته لأنهم عزروا ذلك إلى غضب الآلهة ، ولم تدخل تلك الواحة تحت حكم مصر إلا في عهد الخوف له محمد على باشا حين أرسل إليها حسن بك الشماشجي ، حاكم البحيرة إذ ذاك ، فأخضعها وتهد بها عرب أولاد علي إلى زمن سعيد باشا ثم ضمت لمديرية البحيرة ، وهم يؤدون ضريبة النخيل للحكومة ، وكان مجموعها زهاء ٨٠٠ جنيه وزعت على عدد النخيل الجيد الذي يشمر البلح الصميدى ، فنص كل نخلة نحو تسعة مليات ضريبة تدفع للدولة كل عام ؛ ويكاد يكون لهم نظام حكم خاص بهم فالحكومة تكل أمرهم إلى المشايخ وعدم سبحة يتفاوضون مرتبات تتراوح بين جنبيين وأربعة كل شهر ، وهؤلاء هم الوسطاء بين الدولة وبين الأهليين ؛ وعند انتخابهم يجتمع أعيان الواحة ممن تريد ملكيتهم على مائة نخلة وينتخبون الشيخ ولا تقل أملاكه عن ٢٥٠ نخلة ؛ وغالب منازعاتهم محل بطريق التحكيم فيختار كل من الخصمين رجلين يوكل اليهما الأمر وقضاؤهما نافذ بعد عرضه على المأمور ، وأساس تشريعهم القواعد التي وضعها لهم عالم اسمه محمد يوسف ، وتكاد تكون وفق تقاليدهم الخاصة ، إلا في الزواج والميراث فهم خاضعون لقضائنا . وعدد سكان الواحة يقرب من خمسة آلاف ليس بينهم مسيحي واحد ؛ ويقولون إن أربعين رجلاً من العرب

والبربر وقبيلة أغورى وفدوا إلى تلك البقعة وأقاموا لهم معصرة ودونوا أسماءهم في سجلاتهم ، ثم تكاثر نسلهم حتى بلغ هذا العدد ومن لا ينتمى إلى واحد من أولئك الأربعين يعد دخيلاً عليهم وطبقة المال هناك يسمون الرجال أوالرجالين ، يزيد عددهم على الخمائة ، وهم الذين يقومون بخدمة الأرض نظير قيام السيد بمؤنتهم الضرورية ، ولكل خادم جبة من صوف وثوب من قماش كل عام ، وعند جمع المحصول يتسلم الواحد ٣٢ صاعاً من الحب وأربعين من البلح الصميدى الجيد . وتلك الطائفة كبيرة العدد مفتولة السواعد ممثلة الجسوم ، ممنوع أفرادها من الزواج مخافة أن يزيد نسلهم فتزيد النفقة على سيدهم ، ومن تزوج منهم طرده سيده وتخلص منه ؛ وهذا لا شك من أسباب قلة النسل في الواحة كلها ، وقد أخذ ذلك يهدد السكان بالانقراض ، فضلاً عن أنه ساعد على انتشار الفساد إلى درجة كبيرة (يتبع) .

محمد تابت

## لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩١٤

أعدت لجنة التأليف والترجمة والنشر طبع كتاب :

### المختار

للمؤلف هبة العزيز البشري

وهذا الجزء ينتظم ثلاثة أبواب :

الباب الأول باب الأدب ، والثاني باب الوصف ،

والثالث باب التراجم

وقد طبع طبعاً أنيقاً مضبوطاً كثيراً من لفظه بالشكل مفسراً بما يقع فيه من غريب وذلك على ورق صقيل - وحلى فوق هذا بصور فاخرة ، وغلف بتلاف بديع ثمين - وثمن هذا الجزء خمسة عشر قرشاً صاعاً عدا أجرة البريد

ويطلب من اللجنة بشارع الكرداسي نمرة ٩

ومن المكاتب الشهيرة